

مجلة شهرية تُعنى
بالشعر والأدب العربي
تصدر عن دائرة الثقافة
العدد (47) - يوليو 2023





الأسعار :

- الإمارات: 5 دراهم
- البحرين: 500 فلس
- سلطنة عمان: 0.500 ريال
- الأردن: ديناران
- المغرب: 15 درهما
- السعودية: 10 ريالات
- الكويت: 0.500 دينار
- مصر: 5 جنيهات
- قطر: 5 ريالات
- السودان: 500 جنيه

وكلاء التوزيع:

- الإمارات : شركة توزيع، الرقم المجاني : 8002220
- السعودية : الشركة الوطنية للتوزيع - الرياض- هاتف : 966114871474+
- البحرين : مؤسسة الأيام للنشر، المنامة - هاتف : 97477617747+
- الكويت : مجموعة النظائر الإعلامية، الكويت، هاتف : 96524747500+
- سلطنة عُمان: المتحدة لخدمة وسائل الإعلام - مسقط - هاتف: 96824700895+
- مصر : مؤسسة الأهرام للتوزيع : القاهرة، هاتف : 20247704743+
- الأردن : وكالة التوزيع الأردنية : عمّان - هاتف : 96475478855+
- تونس : الشركة التونسية للصحافة -تونس - هاتف : 20247704743+
- المغرب: سوشبرس للتوزيع - الدار البيضاء - هاتف: 214724789121+
- قطر: شركة توصيل- الدوحة، هاتف: 97474757810+
- دار الراوي للنشر والتوزيع - الخرطوم – السودان هاتف :
249123987321+ – 249121306081+

عناوين المجلة

الإمارات العربية المتحدة، حكومة الشارقة
دائـــرة الثقـــافة
ص.ب: 5119، الشارقـة
هاتف : 97165684799+
برّاق : 97165684700+
Email: qawafi@sdc.gov.ae
poetryhouse@sdc.gov.ae
WWW.sdc.gov.ae

شعراء العدد:

محمد أحمو
محمد حسن
أبو زيد إسماعيل
علي مصطفى لون
محمد مصطفى خميس
عامر عاصي
وائل المير
أسماء الحمّادي
حسن عامر
عبدالوهاب بوشنة
حسن قنطار
سعود اليوسف
إسماعيل حقي
أحمد الأمين السالم
نجود القاضي
عادل خميس الزهراني
عبدالله مفتاح
الشاذلي فرحاتي

تدفقت بثراء المعاني وسعة الخيال

«الحكايات العربية».. أسفار ترويها القصائد

ستظل «ألف ليلة وليلة» العربية، النصّ الأكثر حضوراً وبهاءً وثراءً، من بين الآداب العالمية جميعها، سواء في الحكايات وتنوعها، وما تتضمّنه من مزج بين الواقعي والعوالم الخيالية السحرية، الذي ما تزال الفنون والآداب العالمية تستلهم منه حتى يومنا هذا، أو في التقنيات الفنية وأساليب الكتابة التي نوّعت في طرائق الحكي وأشكاله، واستوعبت بداخلها كلّ الفنون العربية التي كانت معروفة حتى زمن حكايتها، أو في كونها وثيقة تحمل الكثير من العلامات الدالّة على الحياة العربية وطبيعتها وأدواتها وأسواقها، وثقافتها وفنونها وآدابها، وموسيقاها وغنائها؛ وهو ما يجعلها كنزاً ملهماً للآداب والفنون على اختلاف أنواعها، كما يمكن مطالعته عالمياً.

د. محمود الضبع
مصر



الحكايات العربية..
أسمار يرويها الشعر

ومن المعروف أن فنّ العربية الأول الذي ارتبط بها منذ البدايات، هو الشّعر، فقد صاحب العرب، في كل أشكال حياتهم، وغدا جهازهم الإعلامي، ومجال تمايزهم الاجتماعي، وموطن حكمتهم وتعمّقهم الفكري، والمعبّر عن أفراحهم وأحزانهم، ومقدمهم إلى الحياة ورحيلهم.. ثم يأتي الفن الثاني متمثلاً في الحكمة التي اتخذت أشكالاً عدّة، منها القصة، والمثل، والجمل التعبيرية المكثّفة، والشّعر الذي تضمّن بداخله كل ما سبق أيضاً.

ومن هنا لم يكن لحكايات «ألف ليلة وليلة»، أن تستغني عن هذه الفنون العربية الأصيلة، وأولها الشّعر، فجمعت في بناء حكاياتها بين القصّ، بما فيه من تشويق وإثارة وتصاعد أحداث وصراع شخصيات، والشّعر بما فيه من إثارة خيال وإمتاع للروح وبما يحدثه في النفس من تنغيم وتطريب، والموسيقا بما فيها من جمال مترجم للغة الأحاسيس غير المنطوقة إلى لغة لحنية منطوقة، والأمثال والحكم والأساطير القديمة، وكلّ أشكال الموروث الشعبي بما فيه عبرة وعظة وتجارب تثري النفوس.

ولا تكاد تخلو حكاية في الليالي من بيت شعري، أو بيتين، أو مقطوعة، أو مقطوعات، وهو المسلك الذي شاع بعد ذلك - لزمن غير قصير- في أسلوب الكتابة والتأليف العربي، ليس في الكتابة القصصية والإبداعية فقط، وإنما في كتب اللغة والأدب وتاريخ الأدب والفلسفة والتاريخ أيضاً، بل تسرب مسلك التقاطع مع الأبيات العشرية - كذلك- إلى كتب العلوم التجريبية من طبّ وفلك وهندسة وجغرافيا، على نحو ما نراه عند البيروني وابن سينا وغيرهما.

أما عن حجم استخدام الشّعر في حكايات «ألف ليلة وليلة»، فقد راوح إجمالي الأبيات الواردة في إجمالي الحكايات الكبرى والصغرى، ثلاثة آلاف وسبعمئة بيت، تزيد أو تقلّ، على اختلاف الطبعات المتعددة لليالي؛ فهناك اختلافات في عدد الأبيات، ومواضعها من الحكايات بين طبعة «برسلاو» 1824، قياساً لطبعة «كلكتا» الهند 1839، وطبعة «بولاق» 1860، وطبعة «الآباء اليسوعيين» 1888، وهكذا، في بقية الطبعات؛ بل إننا قد نجد أحياناً اختلافاً في الاستشهاد نفسه، من حيث عدد أبياته، وفي موضوعه والمعاني التي يدور حولها.

وقد جاءت الأبيات والمقطوعات والقصائد في الحكايات، ممتزجة بالأحداث معبّرة عنها، وليست على سبيل الاستشهاد، ولا على سبيل الحلية الجمالية فقط، ومن ثم يمكن رصد أشكال حضور الشّعر في الليالي، عبر أبيات تعضد ما ورد في الأحداث، وأبيات تلخّصها، وأبيات تكملها:

فمن المقطوعات الشّعرية التي تعضد ما ورد في الأحداث، ما يتكشف منذ الصفحات الأولى لليالي، وفي قصة الإطار للملكين الأخوين شهريار

وشاه زمان، عندما قررا السفر والرحيل عن المُلك، بعد أن وقع لهما ما وقع من خيانة زوجتيهما. وبعد أيام وليال ساقتهما الأقدار إلى موضع على شاطئ بحر فيه أشجار وماء عذب، وما إن قررا الاستراحة فيه قليلاً، حتى هاج البحر، فصعدا أعلى شجرة خائفين، وخرج من البحر مارد ضخم معه صندوق، ولمّا فتحه خرجت منه صبية غرّاء بهية، كأنها الشمس المضيئة كما قال الشاعر:

أشْـــرَقَتْ فـــي الدُّجـــى فـــلاحَ النَّهـــارُ
واسْـــتنارَتْ بنـــورِهـــا الأسْـــــحارُ
مـــنْ سَـــناها الشُّـــموسُ تُشْـــرِقُ لَمّا
تَتَبَـــدّى وتَنْجَلـــي الأقْمـــــارُ
وإذا أوْمَضَـــتْ بُـــروقُ حِماهـــا
هَطَلَـــتْ بالمَدامِـــعِ الأمْطـــارُ

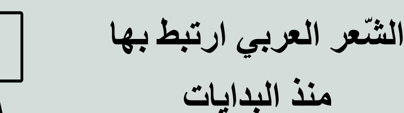
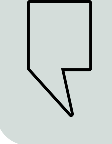
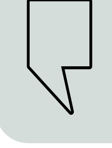
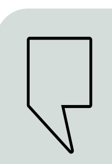
وإن كانت القيمة الفنية للنص متواضعة، فإنها مناسبة لطبيعة الحكي الشعبي الذي يهيمن على حكايات الليالي بشكل عام، من ميلها إلى البساطة، ومخاطبة عقل العامة، والاعتماد على التشويق والإثارة في سرد الأحداث من أقرب السبل، وهو ما يتناسب مع الفكرة الأساسية التي قامت عليها الليالي وهي الحكي الشّفاهي، أي الإلقاء على عموم الجماهير، بمصاحبة الآلات الموسيقية أحياناً، أو بميل الراوي (الذي يحكي الحكاية) إلى التنويع في الأداء الصوتي بمفهوم «إعادة التمثيل» النقدي.

وما تلبث الحكاية، بعد سطور قليلة، أن يتكرّر فيها إيراد مقطوعة شعرية بهدف تأكيد المَحكي عنه، فتبدأ مقطوعة مطلعها:

لا تَأمَنَـــنَّ إلـــى النّســـاءِ
ولا تَثِـــقْ بعُهـــودِهـــنَّ

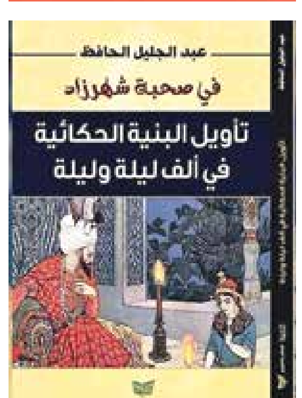
ثم تليها مباشرة دون فاصل من الحكي - في بعض الطبعات- مقطوعةٌ مطلعها:

ويْـــك إنّ المَـــلام يقـــوّي المَلومـــا
لَيْـــسَ جُرْمـــي كمـــا نَشَـــأتُ عَظيمـــا
إنْ أكـــنْ عاشـــقاً فلَـــمْ آتِ إلّا
مـــا أَتَتْـــهُ الرِّجـــالُ قَبْلـــي قَديمـــا
إنّمـــا يَكْثُـــرُ التَّعَجُّـــبُ ممّـــا
كـــانَ مِـــنْ فِتْنَـــةِ النّســـاءِ سَليما

الشّعر العربي ارتبط بها منذ البدايات

صَفحة مِن النُسخة العربية لكِتاب «ألف ليلة وليلة» وهي أقدم نُسخة مَوجودة حتى الآن تَعود إلى أواخر القرن الثالِث عَشر ميلادي




وهنا - وبين قوسين - ينبغي الوضع في الحسبان، عدم محاكمة المعنى المضموني للمقطوعات الشّعرية الواردة في الليالي، سواء بردّه إلى الواقع الخارجي (خارج الحكاية)، أو إلى واقعنا المعاصر.. وبخاصة تلك المقطوعات التي تتنافى والآداب العامة في مجتمعاتنا العربية، أو التي تصدر أحكاماً سلبية على النساء وتنظر إليهنّ بمنظور التبعية المطلقة، وإنما ينبغي ردّ المعنى إلى مناسبته الدرامية للحكاية فقط؛ فعلى سبيل المثال، يمكن هنا قراءة المقطوعتين السابقتين، في سياق مشهد درامي لملكين تعرضا لخيانة زوجتيهما، وما ترتب عليه من انفعالات عاطفية، ما سيجعل هذه المقطوعة مناسبة للحال التي يمرّان بها.

ومن المقطوعات التي تلخّص الحدث أو الأحداث، ما يرد بعد فقرة واحدة مما سبق، (بعد حدث سردي واحد)، بعدما تحكي الليالي عن عودة شهريار إلى قصره، واستمراره سنوات ثلاث يتزوج كل ليلة فتاة، ثم يقتلها في آخر الليل، حتى هرب الناس ببناتهم، ولم يبق من تصلح للزواج، «ثمّ إن شهريار أمر أن يأتيه ببنت على جري عادته، فخرج وزيره وفتش فلم يجد بنتاً، فتوجه إلى منزله وهو غضبان مقهور خائف على نفسه، وكان له بنتان ذاتا حسن وجمال وبهاء وقدّ واعتدال، الكبيرة اسمها شهرزاد، والصغيرة اسمها دنيا زاد...»؛ وهنا يورد بيتان من يلخصان حال الوزير:

قُـــلْ لِمَـــنْ يَحْمـــل هَمّـــاً
إنّ هَـــمّـــاً لا يَـــــدومُ
مِـــثْلَمـــا يَفْنـــى السُّـــرورُ
هكـــذا تَفْنـــى الهُمـــومُ



جمعت في بناء حكاياتها بين القصّ والنّظم

وهو ما حفز الوزير لأن يحكي لابنته ما جرى، فطلبت منه تزويجها من الملك، رغبة منها في إصلاح الأمور على النحو المعروف لكل من قرأ الليالي؛ وغير خافٍ بالطبع أن البيتين هنا يقومان بدور نفسي في المقام الأول على مستوى التلقّي، سواء كان شفاهياً، أو مسموعاً، إذ ما من أحد منا يخلو من الهم بفعل سنة الحياة، وعندما يشركنا النص (المقطوعة الشّعرية هنا) في الحكاية، ويجعلنا جزءاً منها، بل يعطينا الحكمة السهلة التي تهدّئ أرواحنا (إنَّ هَمّاً لا يدوم)، فمن المؤكد أن تفاعلنا بوصفنا متلقّين سيتعمّق، وصلتنا بالنص ستتوطد، وهي المهمة التي يسعى الإبداع في كل نص إلى أن يحققها (توطيد صلة المتلقّي بالنص).

ولعلّنا، بالنماذج الشّعرية السابقة - ونحن ما زلنا نتحدث عن بدايات كتاب «الليالي» إجمالاً- نستطيع الوقوف على بعض الملاحظات الأساسية اللافتة - وهو ما سيندرج على الشّعر إجمالاً في بقية الليالي- فيما يتعلق ببنائه الفني، ونسبته لأصحابه، ومواضع الاستشهاد به، وطبيعة تلقيه:

ففي البناء الفني، سنلاحظ أن شعر الليالي كان متحرراً من التقاليد الرصينة التي أرستها الشّعرية العربية من تقنيات تلتزم الوزن والقافية، وتلتزم بأسس عمود الشّعر السبعة، كما بلورها المرزوقي، وهي: «شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه والمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى، وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما».

وهو ما يجعل كثيراً من مقطوعات الشّعر الواردة فيها - وبخاصة تلك المجهولة المؤلف- تميل إلى الضعف والركاكة بمقاييس الشّعرية العربية التي كانت قد اكتملت أركانها حتى زمن تأليف الليالي.

وفي نسبة الأبيات إلى أصحابها، سيلفتنا في تلك الأشعار، أن كثيراً منها مجهول المؤلف، فإذا كانت بعض القصائد تأتي منسوبة إلى أصحابها الشّعراء من أمثال جرير، ودعبل الخزاعي، أو منسوبة إلى مغنّيها من أمثال ابن سريج، وزرزور، فإن كثيراً من هذه الأشعار يأتي دون ذكر صاحبها أو الإشارة إليه، ولعل ذلك يمكن تبريره بمبررات عدّة، أولها هو نشأة الليالي وتأليفها من البداية، واعتمادها على الرواية الشعبية (الحكاية التي يلقيها راوٍ)، ولها طبيعة تلقّ خاصة، لن يحتمل قطع مسار درامية الحكاية بذكر اسم الشاعر، وثانيها أن هذه الأشعار كانت متداولة وتجري على الألسن مجرى الحكمة والمثل الشعبي، وكما أن المثل الشعبي أو الحكمة لا يحتاجان إلى توثيقهما باسم قائلهما، فلم تكن هذه الأبيات في حاجة إلى ذكر اسم قائلها.

وفي مواضع ورود الأشعار في الليالي، فإن القارئ لنسخ طبعات «ألف ليلة» الكثيرة، سيلاحظ أن بعض النسخ تكثر من الاستشهاد بالشّعر، وبعضها تقلل منه أو تسقطه تماماً من بعض الحكايات؛ فعلى سبيل المثال، المقطوعات السابقة جميعها غير موجودة في طبعة «برسلاو» عام 1824، وهي الطبعة العربية الأولى، بعد رحلة الليالي من الشرق وضياع نسخها

أبناء سلطان جزر الهند مع سيوفهم. (من رسم لغوستاف بولانغر، حكاية من ليالي ألف ليلة وليلة)



صفحة من مخطوط عربي لألف ليلة وليلة

في العربية، واكتشافها عام 1704 على يد أنطوان جالان، ثم ظهور طبعتها العربية في مدينة برسلاو الألمانية. على حين ترد هذه المقطوعات في طبعات: «كلكتا» الهند 1839 (الشهيرة الآن بطبعة وليم جي مكناطن)، وطبعة «سعيد الخصوصي» 1860، و«المطبعة العثمانية» 1886.

أما عن طبيعة تلقّيها، فمن المهم والضروري تأكيد أن الأشعار الواردة في الليالي، ينبغي استقبالها في سياق الحكي الشعبي الشفاهي الذي كان يقوم به أحد الرواة، وعليه أن يراعي شروط الشفاهية ومتطلباتها، التي تقتضي عليه التنويع في طرائق الحكي، فيميل إلى السجع «اتفاق الفواصل الأخيرة للكلمات» أحياناً، ويميل إلى استخدام الحكمة والمثل الشعبي أحياناً أخرى، وللإنشاد الشّعري (الغناء) أحياناً ثالثة. كما أن متطلبات الشفاهية ستقتضي عليه انتقاء الكلمات السهلة التي تصل إلى تحقيق المعنى من أقرب السبل، واختيار الخيال السهل غير المركّب، والصورة قريبة المأخذ من وعي المتلقّي، وإلّا فإنه لن يكون هناك استقبال من البداية لحكايات «الليالي» وأسمارها..

كل هذا وغيره، سيجعل اختيار المقطوعات والأبيات الشّعرية في الليالي لا يحتفي كثيراً بالبحث عن النماذج الشّعرية الرصينة، بقدر ما يحتفي بالبحث عن المناسب درامياً لأحداث المَحكي عنه، ولطبيعة الموقف المراد تعضيده، أو استكماله، أو تلخيصه واستخلاص الحكمة والعظة منه، وأخيراً لأن الشّعر كان وسيظل عبر مسيرة الإنسان العربي رافداً من روافد الحياة، وصوتاً مصاحباً لكل أشكالها، وبنية متأصلة في وعيه وإبداعاته.

